تعليقات

على كتاب

كشف الشبهات

تأليف

أبي عبد الله

خالد بن عبد الله باحميد الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

تعليقات

على كتاب

كشف الشبهات

ح خالد بن عبد الله باحميد الأنصاري، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان

تعليقات على كتاب كشف الشبهات / تعليق خالد بن عبد الله باحميد الأنصاري ـ الرياض.

١١٤ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٢-١٥-٣٩-٩٩٦٠

١-التوحيد ٢-العقيدة الإسلامية أ-الأنصاري، خالد بن عبد الله باحميد (معلق) ب-العنوان

ديوي ٢٤, ٢٢/٠٣٦٩

رقم الإيداع: ٢٢/٠٣٦٩

ردمك: ٢-١٥-٣٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ

عنوان المؤلف

ص ب: ٧١٢ ـ الرمز: ١١٣٣٢ الرياض

المملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلـــه وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فأصل هذه التعليقات شرح موسع ألقيته في مجلس على جمع مـــن طلبة العلم؛ ولقي ولله الحمد قبولاً، ثم رأيت أن أحذف منـــه وأجعلـــه تعليقات، وعرضت هذه التعليقات على بعض أهل العلم وكثير من طلبة العلم فلقيت قبولاً أكثر مما كنت أتوقعه، فلله الحمد أولاً وآخراً.

وقد طُلِب مني أن أقوم بطبعها لتعم الفـــائدة، وكنـــت مـــتردداً لأسباب، حتى عزمت على طبعها، فأسأل الله عز وجل أن ينفع بهـــا في الدنيا والآخرة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ترجمة مؤلف كتاب "كشف الشبهات"

اسمه ونسبه:

اسمه محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، وأسرته معروفة بـ "آل مشرَّف"، ومشرَّف الذي تنتمي إليه الأسرة يرجع نسبه إلى "تميم"، وهي قبيلة من قبائل العرب المعروفة.

مولده ونشأته:

ولد سنة "١١١٥هـ" في بلدة "العيينة"، ونشأ في بيت علم؛ فوالده قاض وكذلك جده.

طلبه للعلم:

حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة، وتعلم مبادئ العلوم، وقرأ على والده في الفقه الْحَنبلي، ورحل في طلب العلم إلى مكة والْمَدينة والبصرة والأحساء، وكان كثير المطالعة فقرأ بنفسه في كتب التفسير والحديث وغيرهما.

مصادره العلمية:

أهم مصادره العلمية أربعة:

الأول: القرآن، وتفاسيره المعتمدة كتفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير.

الثاني: الأحاديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها.

الثالث: كتب المذاهب الأربعة، وخصوصاً كتب المذهب الحنبلي.

الرابع: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

اعتقاده:

اعتقاده هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

وأهل السنة والجماعة هم الصحابة وفقهاء التابعين وتابعي التابعين ومن اعتقد اعتقادهم.

منهجه في الفقه:

لا يُخالف إجماع الفقهاء، وما اختلفوا فيه لا يخرج عن أقوال الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، فيأخذ برأي الإمام أحمد إلا إذا كان الدليل يوافق رأي غيره من الأئمة الثلاثة أخذ بالرأي الذي يوافق الدليل.

الأوضاع الدينية في زمنه:

حال أكثر المسلمين في زمنه يُبكي قلوبَ الغيورين على دين الله تعالى؛ فقد غلب الجهل واستحكم الهوى ففشى الشرك في عامة بلدان المسلمين، وظهر التهاون في عموم الدين من ترك الواجبات وفعل المحرمات.

دعوته:

كان يدعو إلى تعلم التوحيد والعمل به خصوصاً، وإلى تعلم الدين والعمل به عموماً.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة في أصول الدين وفروعه، من أشهرها: "الأصول الثلاثة" و"كتاب التوحيد" و"كشف الشبهات".

وفاته:

في يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة (١٢٠٦هـ) توفي الشيخ عن عمر يقارب اثنتين وتسعين سنة، أمضى أكثرها في طلب العلم والعمل به وتعليمه والدعوة إليه، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته ورفع درجته.

قبل الشروع في التعليق على الكتاب

قبل الشروع في التعليق على الكتاب سيكون الكلام عن أمرين:

الأول: عنوان الكتاب.

الثاني: محتويات الكتاب.

أما **عنوان الكتاب** فهو "كشف الشبهات"

الكشف: معناه الإيضاح، **والشبهات:** جمع شبهة، وهي الْحُجة التي تشتبه على الجاهل فيظنها حقا وليست كذلك.

زيادة إيضاح:

المؤلف في هذا الكتاب يقصد أناساً في زمنه ينتسبون إلى الإسلام، لكنهم يفعلون الشرك ؛ حيث إنهم يصرفون أنواع العبادة لغير الله تعالى، وفي نفس الوقت ينفون الشرك عن أنفسهم؛ فيقولون: نحن لسنا بِمشركين؛ ويستدلون بحجج لإثبات أنهم ليسوا بِمشركين، والمؤلف يبين أن نفيهم للشرك عن أنفسم مجرد دعوى، وأما من حيث الواقع فإنهم يفعلون الشرك، ويوضح أن الحجج التي استدلوا بها على نفي الشرك عن أنفسهم أنها لا تدل على ذلك.

وأما **محتويات الكتاب**، فهو يحتوي على قسمين:

القسم الأول: تمهيد، ويتضمن ذكر مقدمتين.

القسم الثاني: الكلام عن الموضوع الذي من أجله ألف المؤلف هذا الكتاب، ويتضمن ذكر كيفية كشف شبهات الذين يفعلون الشرك وينفونه عن أنفسهم.

القسم الأول من الكتاب

المقدمة الأولى

حقيقة التوحيد الذي أرسل الله تعالى به الرسل
وحقيقة الشرك الذي وقعت فيه الأمم المرسل إليهم
وحال الذين يفعلون الشرك في زمن المؤلف من حيث معرفتهم بحقيقة التوحيد وحقيقة الشـــرك

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

[دعوة الرسل عموماً]

اعلم - رحمك الله - أن التوحيد هوإفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده.(٢)

---

(١) ابتدأ الْمُؤلف كتابه بالبسملة؛ اقتداء بكتاب الله تعالى فإنه مبدوء بها؛ وتأسياً بالرسول ﷺ فإنه يبدأ مرسالاته بها، وعلى هذا درج أهل العلم أعني أنهم يبدؤن مؤلفاتهم بالبسملة.

(٢) ابتدأ المؤلف ــ المقدمة الأولى ــ بهذه الجملة التي تكلم فيها عن دعوة الرسل عموماً.

وهذه الجملة تضمنت مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف التوحيد.

المسألة الثانية: بيان أنه هو الدين الذي أرسل الله به الرسل.

....

تتمة:

التوحيد **لغة**: الإفراد.

وشرعاً: إفراد الله تعالى بما يختص به.

وهو بحسب تفصيل المؤلف في هذا الكتاب قسمان:

الأول: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله بالخلق والرزق.

الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة.

والمؤلف إنما عرف توحيد الألوهية لأنه هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، والرسل دعوا إلى هذا التوحيد لأنه هو الذي أخل به معظم الأمم المرسل إليهم.

[دعوة أول الرسل]

فأولهم نوح عليه السلام، وأرسله إلى قومه لما غلو في الصالحين: وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً.(١)

---

(١) لما تكلم في الجملة السابقة عن دعوة الرسل عموماً أتبعها بِجملة تكلم فيها عن دعوة أول الرسل.

وهذه الجملة تضمنت ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذِكرُ اسم أول الرسل.

المسألة الثانية: بيان أن الله أرسله إلى قومه لما غلوا في الصالحين.

المسألة الثالثة: ذِكرُ أسماء هؤلاء الصالحين.

تتمة:

الغلو **لغة:** مجاوزة الحد، **والغلو في الصالحين:** هو مجاوزة الحد فيهم؛ وذلك برفعهم فوق منزلتهم، ونوع الغلو في الصالحين الذي وقع فيه قوم نوح هو صرف العبادة لهم؛ ووجه الغلو أن العبادة حق لله تعالى وحده وفي صرفها للصالحين رفع لهم فوق منزلتهم.

[دعوة آخر الرسل]

وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويَحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ابن مريم وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله لا يصلح منه شئ لغير الله، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما.(١)

---

(١) لما تكلم في الجملة السابقة عن دعوة أول الرسل أتبعها بجملة تكلم فيها عن دعوة آخر الرسل.

وهذه الجملة تضمنت ثماني مسائل:

المسألة الأولى: ذِكرُ اسم آخر الرسل.

المسألة الثانية: بيان أنه هو الذي كسر صور الصالحين التي صورها قوم أول الرسل.

....

المسألة الثالثة : بيان أن الناس الذين أرسل إليهم كانوا يعبدون الله، ومن العبادات التي كانوا يؤدونها لله الحج والصدقة والذكر.

المسألة الرابعة: بيان أن السبب في إرساله إليهم مع أنهم كانوا يعبدون الله هو اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله.

المسألة الخامسة: بيان أن مرادهم من هؤلاء الوسائط أن يقربوهم إلى الله ويشفعوا لهم عنده.

المسألة السادسة: بيان أن الذين اتخذوهم وسائط منهم ملائكة ومنهم أنبياء ومنهم أناس صالحون.

المسألة السابعة: بيان أن محمدا ﷺ بُعث إليهم ليجدد دين أبيهم إبراهيم.

المسألة الثامنة: بيان أن دين إبراهيم الذي بعث مُحمد ﷺ لتجديده هو صرف العبادة لله وحده.

تتمة:

ظاهر كلام المؤلف أن السبب في إرسال آخر الرسل كون الناس اتخذوا وسائط، وليس هذا مراداً.

....

بل السبب في إرساله كونهم جحدوا توحيد العبادة وذلك بأن صرفوا العبادة للصالحين، ولكن صرف العبادة للصالحين كانت نتيجة عن اتخاذهم وسائط؛ وجه ذلك أنهم لما اعتقدوا من عند أنفسهم أن الله تعالى ملّك الصالحين الشفاعة، أدى ذلك إلى دعائهم يريدون منهم أن يشفعوا لهم عند الله تعالى، وإلى التقرب إليهم بالذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة لكي يقوموا لهم بالشفاعة.

[موقف المشركين من توحيد الربوبية]

وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لايرزق إلا هو ولايحي إلا هو ولايميت إلا هو ولايدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن والأرض ومافيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره، وإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١-٣٢] وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[المؤمنون:٨٤-٨٩] وغير ذلك من الآيات.(١)

---

(١) هذه الجملة تابعة للكلام عن دعوة آخر الرسل.

فلما ذكر في الجملة السابقة موقف المشركين من توحيد العبادة ذكر بعد ذلك موقفهم من توحيد الربوبية.

وهذه الجملة تضمنت مسألتين:

المسألة الأولى: بيان أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية.

المسألة الثانية: بيان الدليل من القرآن على أنهم كانوا يقرون بذلك.

تتمة:

الربوبية غير العبادة، **فالربوبية** تتعلق بأفعال الله **والعبادة** تتعلق بأفعال العبد ، فتوحيد الربوبية يتحقق باعتقاد أن الله هو الخَالق والرازق وحده، وشرك الربوبية يتحقق باعتقاد أن غير الله يَخلق ويرزق، وتوحيد العبادة يتحقق بصرف جميع أنواع العبادة لله وحده، وشرك العبادة يتحقق بصرف شئ من أنواع العبادة لغير الله.

. . . .

فالمشركون الأولون يقرون بتوحيد الربوبية لأنهم يعتقدون أن الله هو الخالق والرازق وحده، ويجحدون توحيد العبادة لأنهم يصرفون أنــــواع العبادة لله وللصالحين .

[معرفة الذين يفعلون الشرك بتوحيد العبادة]

فإذا تحققت أهم مقرون بهذا، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد.(١)

---

(١) هذه الجملة تابعة للكلام عن دعوة آخر الرسل.

فلما ذكر في الجملتين السابقتين أن المشركين الأولين يقرون بتوحيد الربوبية ويجحدون توحيد العبادة ذكر بعد ذلك معرفة الذين يفعلون الشرك في زمنه بتوحيد العبادة.

وهذه الجملة تضمنت أربع مسائل:

المسألة الأولى: التحقق من أن المشركين الأولين يقرون بتوحيد الربوبية، وذلك لأن القرآن دل عليه.

المسألة الثانية: التحقق من أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في التوحيد الذي دعا إليه الرسول ﷺ.

وذلك لأنه لو كان إقرارهم بتوحيد الربوبية يدخلهم في التوحيد الذي دعا إليه لما دعاهم إلى التوحيد.

....

المسألة الثالثة: معرفة أن التوحيد الذي دعاهم إليه النبي ﷺ وكانوا يجحدونه هو توحيد العبادة.

وذلك لأنه إن لم يكن التوحيد الذي دعاهم إليه النبي ﷺ وكانوا يجحدونه هو توحيد الربوبية فلم يبق إلا توحيد العبادة.

المسألة الرابعة: بيان أن الذين يفعلون الشرك في زمن المؤلف يسمون توحيد العبادة بالاعتقاد.

وذلك لأنهم يفسرون توحيد العبادة بأنه اعتقاد الخلق والرزق والنفع والضر لله وحده يعني أنهم يفسرون توحيد العبادة بنفس معنى توحيد الربوبية.

تتمة:

الذين يفعلون الشرك في زمن المؤلف في جهل عظيم بالتوحيد والشرك، ووجه الجهل يتمثل فيما يلي:

أولاً: ظنهم أنه لا فرق بين الربوبية والعبادة ، بل العبادة عندهم هي نفسها الربوبية، فالربوبية والعبادة كلاهما عندهم بمعنى اعتقاد الخلق والرزق.

....

ثانياً: نتج عن هذا الظن ظنهم أن التوحيد الذي أرسل الله به الرسل هو اعتقاد الخلق والرزق لله وحده، وأن الشرك الذي وقعت فيه الأمم المرسل إليهم هو اعتقاد الخلق والرزق لغير الله معه.

ثالثاً : نتج عن هذا الظن ظنهم أنهم موحدون لأنَّهم يعتقدون أن الله هو الخالق والرازق وحده، وأنهم غير مشركين لأنَّهم لا يعتقدون أن غير الله يخلق ويرزق.

وبهذا يعلم أن هؤلاء لا يعرفون حقيقة توحيد العبادة.

[بعض أنواع العبادة]

كما كانو يدعون الله سبحانه ليلاً ونَهاراً ، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨] وكما قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ [الرعد:١٤]، وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والنذر كله لله والذبح كله لله والاستغاثه كلها بالله وجميع أنواع العبادات كلها لله.(١)

---

(١) هذه الجملة أيضاً تابعة للكلام عن دعوة آخر الرسل.

فلما ذكر في الجملة السابقة أن الذين يفعلون الشرك في زمنه لا يعرفون حقيقة توحيد العبادة، ذكر بعد ذلك بعض أنواع العبادة.

وهذه الجملة تضمنت خمس مسائل:

....

المسألة الأولى: بيان أن المشركين الأولين كانوا يدعون الله، ولكن كانوا يدعون معه الصالحين.

المسألة الثانية: بيان أن النبي ﷺ قاتلهم بسبب هذا الشرك.

المسألة الثالثة: بيان أن النبي ﷺ كان يدعوهم لإخلاص العبادة لله وحده.

المسألة الرابعة: بيان الدليل من القرآن على أن النبي ﷺ كان يدعوهم لذلك.

المسألة الخامسة: بيان أن العبادة التي كان النبي ﷺ يدعو إلى إخلاصها لله وحده ويقاتل من أجلها هي أنواع، منها الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة.

[التوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله]

وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به الْمُشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله مايعني المشركون في زمانا بلفظ السيد.(١)

---

(١) هذه الجملة أيضاً تابعة للكلام عن دعوة آخر الرسل.

فلما ذكر في الجملة السابقة ما هي العبادة ذكر بعد ذلك التوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله.

وهذه الجملة تضمنت ست مسائل:

. . . .

المسألة الأولى: بيان أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وذلك لأنه لو كان إقرارهم بتوحيد الربوبية يدخلهم في الإسلام لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام.

المسألة الثانية: بيان أن قصدهم الصالحين هو الذي لم يدخلهم في الإسلام وهو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

المسألة الثالثة: بيان أن بهاتين المسألتين السابقتين يُعرف التوحيد الذي دعا إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون يعني أنه توحيد العبادة لا توحيد الربوبية.

المسألة الرابعة: بيان أن بهذه المسألة السابقة يُعرف التوحيد الذي هو معنى "لا إله إلا الله"، يعني معنى هذه الكلمة: لا معبود حق إلا الله، وليس معناها لارب إلا الله.

المسألة الخامسة: بيان أن لفظ "الإله" عند الْمُشركين الأولين معناه: الذي يقصد بالدعاء، وليس معناه عندهم الرب.

. . . .

المسألة السادسة: بيان أن الذي يســـميه المشركون الأولون "إلهاً"، يسميه الذين يفعلون الشرك في زمان المؤلف بـــ "السيد"، وذلـــك لأن لفظ "الإله" عند الأولين اسم للذي يقصدونه بالدعاء، ولفظ "الســـيد" عند الذين يفعلون الشرك في زمان المؤلف اسم للذي يقصدونه بالدعاء.

[كيفية تحقيق لا إله إلا الله]

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لامجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لاإله إلا الله، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب مِمَّن يدعي الإسلام وهو لايعرف من تفسير هذه الكلمة ماعرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والْحَاذِق منهم يظن أن معناها لايخلق ولايرزق إلا الله ولايدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لاإله إلا الله.(١)

---

(١) هذه الجملة تابعة أيضاً للكلام عن دعوة آخر الرسل.

....

فلما ذكر في الجملة السابقة التوحيدالذي هو معنى "لا إلـــه إلا الله" ذكر بعد ذلك كيفية تحقيق لا إله إلا الله.

وهذه الجملة تضمنت أربع مسائل:

المسألة الأولى: بيان أن الكلمة التي كان النبي ﷺ يدعو المشـــركين إلى تحقيقها هي "لا إله إلا الله".

المسألة الثانية: بيان أن أولئك المشركين يعلمون أن تحقيـــق هـــذه الكلمة لا يكون بمجرد التلفظ بها بل لابد من اعتقاد معناها.

المسألة الثالثة: بيان أنهم يعلمون أن معناها لا معبود حـــق إلا الله، ولهذا لم يقولوها لأنهم يعتقدون أن غير الله يستحق العبادة.

المسألة الرابعة: بيان أن الذين يفعلون الشرك في زمن المؤلف بالنسبة لتحقيق هذه الكلمة على صنفين: صنف يظنون أن تحقيق هذه الكلمـــة هو بمجرد التلفظ بها، وصنف وهم الأذكياء فيهم يظنون أن تَحقيق هذه الكلمة مع التلفظ بها لابد من اعتقاد معناها، ولكنهم يظنون أن معناهـــا لا رب إلا الله، لا يظنون أن معناها لا معبود حق إلا الله.

وبنهاية هذه الجملة تنتهي المقدمة الأولى.

....

وخلاصة هذه المقدمة تجتمع في أمرين:

الأمر الأول: أن التوحيد الذي أرسل الله به الرسل هو توحيد العبادة؛ لأن الشرك الذي وقع فيه معظم الأمم المرسل إليهم هو شرك العبادة، وأن الرسل لم يدعوا إلى توحيد الربوبية؛ لأن معظم الأمم المرسل إليهم لم يشركوا في الربوبية.

الأمر الثاني: أن الذين يفعلون الشرك في زمن المؤلف في جهل عظيم بالتوحيد والشرك، ونتيجة لهذا الجهل صار واقعهم أنهم ينفون عن أنفسهم الشرك الذي لم يقع فيه معظم الأمم ويفعلون الشرك الذي وقع فيه معظم الأمم.

[ما يستفاد من معرفة ما تقدم]

إذا عرفتَ ماذكرتُ لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء ٤٨ ، ١٦١]، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين: الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس ٥٨]، الثانيه: الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة واحدة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل (١) ....

(١) ظاهر كلام المؤلف أنه لا يرى العذر بالجهل.

وقد صرَّح في غير هذا الكتاب بأن الذي يفعل الكفر وهو جاهل فإنه معذور.

....

فمن ذلك قوله: (وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك) وقوله: (لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم) [الدرر السنية : ١/ ٥٦، ٦٦].

وأما ما قاله هنا: (أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل) فمراده أنه لا يعذر من الرد وتغليظ الكلام عليه، ومما يدل على هذا قوله الآتي عن قصة الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط حيث قال: (هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها – إلى قوله – وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ)، وأصرح من هذا قوله في كتاب التوحيد في باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما: (وفيه مسائل: السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم في الأمر بل رد عليهم بقوله: "الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم" فغلظ الأمر بهذه الثلاث).

....

فالخلاصة: أن المؤلف يرى أن الجهل مانع من التكفير ولكن ليس مانعا من الرد وتغليظ الكلام.

إذا ثبت هذا فإن للمؤلف كلاماً في عدة مواضع من هذا الكتاب قد يُفهم منه أنه يَحكم على كل من صدر منه الشرك بأنه مشرك وأنه عدو لله تعالى، فمن ذلك قوله: (توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) وقوله: (فإن أعداء الله لَهُم اعتراضات)، فإنه يقصد بِهذا الكلام الذين أوضح لهم أن ما يفعلونه شركاً ومع ذلك استمروا على فعله، ولا يقصد بذلك الذين يفعلون الشرك وهم يجهلونه.

فإذا قيل: قوله: (فيقال لهؤلاء المشركين الجهال) ظاهره أنه حكم عليهم بأنهم مشركون مع كونهم جهالا، فالجواب: أنه يقصد الذين أوضح لهم أن ما يفعلونه شركاً ومع ذلك استمروا على فعله ودعوا إليه ودافعوا عنه، ووصفهم بأنهم جهال لأنهم يستدلون بأحاديث يظنونها تصلح حججاً لما يدعون إليه ويدافعون عنه وهي ليست كذلك، ولذلك قال فيما بعد: (ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث) فأخبر أنهم ما فهموا معنى الأحاديث ولم يخبر أنهم ما فهموا أن فعلهم شرك.

. . . .

فإذا قيل: قوله: (فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق) فظاهره أن الذين يفعلون التوحيد ظـــاهراً ولا يفهمونه باطناً وإنما هم يقلدون أهل التوحيد فحكمهم حكم المنـــافقين، فالجواب: أن كلام المؤلف هنا محتمل لهذا المعنى، ولازم ذلك أنه يحكـــم عليهم بأنهم كفار مع كونهم جهالا، فإذا كان هذا محتملاً وكلامـــه في عدم التكفير مع الجهل صريح، فيُأوَّل المحتمل بالصريح، فلعل مـــراده أن هؤلاء يشبهون المنافقين لأن باطنهم لا يوافق ظاهرهم فهذا من باب الذم لهم لكونِهم لم يتعلموا ما يلزمهم معرفته من الدين والذي بسببه شابَهوا المنافقين، وليس مراده أنهم كفار كالمنافقين، والله أعلم.

وقد يقولها وهو يظن أنَّها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[الأعراف ١٣٨]، فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على مايخلصك من هذا وأمثاله.(١)

---

(١) **خلاصة ما يريده المؤلف في هذه الجملة** أنك تستفيد من معرفة ما تقدم يعني من معرفة التوحيد والشرك وحال الْمُشركين في هذا الزمن من الجهل بهما، تستفيد فائدتين:

الفائدة الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، وذلك لكونه عرَّفك التوحيد والشرك ولم يجعلك ممن هم في جهل عنهما.

الفائدة الثانية: الخوف العظيم، والمراد أن تخاف على نفسك أن يصدر منك ما يخالف التوحيد ويوقع في الشرك كما حصل لكثير من الناس في هذا الزمن، ويعظم خوفك حينما تتذكر قوم موسى الذين هم أحسن الناس في وقتهم صلاحاً وعلماً ومع ذلك طلبوا منه ما هو مخالف للتوحيد وموقع في الشرك.

المقدمة الثانية

ماذا على من أراد التصدي للذين يفعلون الشرك في هذا الزمن وكشف شبهاتهم

[محاربة الأعداء لدعوة الأنبياء]

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢] ، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[غافر:٨٣].(١)

---

(١) ابتدأ الْمُؤلف ــ المقدمة الثانية ــ بِهذه الجملة التي تضمنت بيان أن للأنبياء أعداء يحاربون دعوتهم إلى التوحيد، وبيان نوع السلاح الذي قد يستعمله الأعداء في هذه المحاربة، وهو ما عندهم من العلم.

ويستفاد من بيان ذلك: معرفة أن من دعا إلى نفس ما دعا إليه الأنبياء فسيكون له أعداء يُحاربون دعوته، وقد يستعملون نفس السلاح الذي استعمله أسلافهم.

[التسلح لمواجهة الأعداء]

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامُهم ومُقدَّمُهم لربك عز وجل: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[الأعراف:١٦-١٧].(١)

---

(١) هذه الجملة تضمنت الحث على التسلح لمواجهة هؤلاء الأعداء.

والتسلح يكون بأمرين: **الأول**: تعلم حجج الحق لدفع الباطل به، **والثاني**: تعلم حجج الباطل للتهيأ لإبطاله.

وتضمنت أيضا التنبيه على أن إمام الأعداء الذي هو الشيطان توعد بالتصدي للحق، ويستفاد من هذا التنبيه معرفة أن أهل الباطل سيستمرون في التصدي للحق تبعاً لإمامهم.

[البشارة بنصر الموحد]

ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولاتحزن ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[النساء:٧٦]، والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات ١٧٣] فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.(١)

---

(١) هذه الجملة تضمنت البشارة بضعف كيد الشيطان وأن هذا الكيد يتلاشا بقدر ما عند الموحد من الاستعانة بالله تعالى والتزود بحججه، ويستفاد من هذه البشارة أنه إذا كان كيد إمام الأعداء ضعيفاً فمن باب أولى كيد أتباعه.

وتضمنت أيضا البشارة بنصر الموحد ولو كان عامياً، سواء في ساحة البيان أو في ساحة القتال، والتنبيه على الخوف على الْمُوَحِّد الذي يقدم على المحاربة وليس معه سلاح.

. . . .

ويستفاد من هذه البشارة وهذا التنبيه أن للنصر سببين:

أحدهما: التوحيد.

والثاني: التسلح.

فالْمُوَحِّد ولو كان عامياً فبتوحيده حقق سبباً من سببي النصر، ولكن يُخشى عليه إن لم يحقق السبب الثاني ، يُخشى عليه من أحد أمور ثلاثة:

إما أن يَنهزم، فيخذل الدين بهزيمته.

وإما أن يُؤسر، فيدخل في صفهم، مقتنعاً بما هم عليه.

وإما أن يصاب، فيتضرر بشبهاتهم ويتشكك في الحق الذي هو عليه.

[كيفية التسلح لمواجهة الأعداء والانتصار عليهم]

وقد منَّ الله علينا بكتابه الـــذي جعلـــه ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُـدًى وَرَحْـمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحـل ٨٩] فـــلا يـــأتي صاحب باطل بِحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قـــال تعـــالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان ٣٣] قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كـــل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.(١)

---

(١) هذه الْجُملة تضمنت بيان كيفية التسلح لِمواجهة هؤلاء الأعداء والانتصار عليهم بدحض جميع حججهم الباطلة.

وبنهاية هذه الجملة تنتهي المقدمة الثانية.

وخلاصة هذه المقدمة: أن من أراد التصدي للذين يفعلون الشـــرك في هذا الزمن وكشف شبهاتهم: فعليه الاستعانة بالله والتزود بحججـــه، والمصدر الذي به تعرف هذه الحجج هو القرآن.

القسم الثاني من الكتاب

كيفية كشف شبهات الذين يفعلون الشرك
في هذا الزمـــن بكتاب الله تعالى

[أنواع كشف شبهات الذين يفعلون الشرك]

وأنا أذكر لك أشياء مِمَّا ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.(١)

---

(١) ابتدأ المؤلف ــ القسم الثاني ــ ببيان أن كشف شبهات الذين يفعلون الشرك في زمانه نوعان: مجمل ومفصل.

فالكشف المجمل: المراد به الجواب العام الذي يصلح لرد جميع الشبه.

والكشف المفصل: المراد به الجواب الخاص الذي يصلح لرد كل شبهة بما يناسبها.

[الكشف المجمل]

أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لِمن عقلها وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾[آل عمران ٧]، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"[١].(٢)

---

(٢) لما بين المؤلف أن الكشف نوعان: مجمل ومفصل، شرع في بيان كيفية الكشف المجمل، وذلك أنه لابد ابتداء من معرفة ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن في القرآن محكماً ومتشابهاً.

والمحكم: ما كانت فيه الدلالة واضحة لا تحتمل إلا معنى واحداً، والمتشابه: ما كانت فيه الدلالة غير واضحة بل تحتمل أكثر من معنى.

---

(١) -البخاري: ٤٥٤٧، ومسلم: ٢٦٦٥.

....

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ففي الآية الأولى أخبر الله تعالى عن نفسه بصيغة الجمع، وصيغة الجمع فيها احتمالان: أن يكون المراد بِها الجمع أو يكون المراد بها الإفراد لكن جيء بصيغة الجمع من باب التعظيم، فهذه الآية من المتشابه لوجود الاحتمالين في معناها، والآية الثانية محكمة لأنها لا تحتمل إلا معنى واحداً وهو أن الله تعالى واحد لا جمعاً.

الأمر الثاني: أن الله تعالى أمر بالرجوع إلى المحكم.

وذلك لقوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي هن المرجع في هذا الكتاب، وذلك يقتضي تفسير المتشابه به، أي الآية التي تحتمل أكثر من معنى يُختار لها المعنى الذي دل عليه المحكم.

وعلى هذا ففي المثال السابق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ تُفسَّر صيغة الجمع هنا بأن المراد بها الإفراد وأنه جِيءَ بصيغة الجمع من باب التعظيم، لأن هذا المعنى هو الموافق لما دل عليه المحكم الذي هو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

. . . .

الأمر الثالث: أن الله تعالى ذم الذين يتبعون المتشابه وأن النبي ﷺ حذر منهم، ومعنى اتباع المتشابه هو تفسيره بخلاف المعنى الذي دل عليه الْمُحْكَم، والسبب في أن الله تعالى ذم الذين يتبعون المتشابه وأن النبي ﷺ حذر منهم هو أن هذا التصرف منهم يقتضي جعل كلام الله تعالى متناقضاً.

وعلى هذا ففي المثال السابق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ لو قال قائل: إن صيغة الجمع هنا المراد بها الجمع يعني أن الله تعالى ليس واحداً، فهذا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

الخلاصة: أن صاحب الباطل إن استدل بدليل من الكتاب والسنة فإنما يستدل بمتشابه لا بمحكم، فكيفية الجواب عليه أن نستدل بدليل محكم، ونلزمه إن كان يدعي إرادة الحق بالتسليم للدليل المحكم وعدم تقديم المتشابه عليه.

[مثال الكشف المجمل]

مثال ذلك إذا قال بعض المشــــركين: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[يونــس:٦٢]، وإن الشـــــفاعة حق، وإن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلامـــا للنـــبي ﷺ يستدل به على شئ من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الـــذي ذكره، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهـــم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرتُه من أن الله ذكر: أن الْمُشركين يقرون بالربوبيه، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء، مع قولهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس:١٨]، هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرتَ لي أيـــــها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله، وهـــــذا جواب سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهن بــــه، فإنه ....

كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[فصلت:٣٥] .(١)

---

(١) لما بين المؤلف كيفية الكشف المجمل مثل له بهذا المثال.

وخلاصته : لو قال الذي يفعل الشرك: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ومراده: أن هذه الآية تدل على جواز اتخاذ الأولياء شفعاء لأن لهم منزلة عند الله تعالى.

وهذه الآية ليست واضحة الدلالة على ذلك.

وكيفية الجواب عليه: أن نذكر له الآيات الدالة على أن الْمُشركين الأولين مقرون بالربوبية لله وحده، وإنما هم مشركون لأنهم دعوا الأولياء لأجل أن يشفعوا لهم عند الله تعالى.

فهذا دليل محكم واضح على أن دعاء الأولياء لطلب الشفاعة لا يجوز وأن من فعله مشرك.

فيقال له: إن كنت طالباً للحق كما تدعي، فيلزمك التسليم للدليل المحكم وعدم تقديم المتشابه عليه، فإن الله تعالى جعل المحكم هو المرجع وذم الذين يتبعون المتشابه، والنبي ﷺ حذر منهم.

....

وإنما ذمهم الله تعالى، وحذر منهم النبي ﷺ، لأنهم بذلك يجعلون كلام الله تعالى متناقضاً، ولهذا إذا دل النص المحكم على عدم جواز دعاء الأولياء فلا يجوز أن يحمل المتشابه على الجواز، لأن هذا يؤدي إلى وجود تناقض في كلام الله تعالى.

[الكشف المفصل]

وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه.(١)

---

(١) لما انتهى المؤلف من بيان كيفية الكشف المجمل والتمثيل له، شرع في بيان كيفية الكشف المفصل.

ومراده **باعتراضات الأعداء**: الشبهات التي يلقيها الذين يفعلون الشرك في زمنه لنفي الشرك عن أنفسهم.

وقد تقدم أن الكشف المفصل المراد به الجواب الخاص الذي يصلح لرد كل شبهة بما يناسبها.

وسيبدأ المؤلف بذكر الشبه الثلاث التي هي أكبر ما عندهم، مع العلم أن سبب هذه الشبه الثلاث هو جهلهم بحقيقة التوحيد الذي أرسل الله به الرسل وحقيقة الشرك الذي وقعت فيه الأمم المرسل إليهم.

[الشبهة الأولى والجواب عليها]

منها: قولهم: نحن لانشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً ﷺ لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأَطْلُبُ من الله بهم، فجاوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضَّحَه.(١)

---

(١) هذه الشبهة الأولى.

وخلاصتها: أنهم يقولون: نحن لسنا بمشركين وعلامة ذلك أننا نعتقد أن الله تعالى هو الخالق والرازق وحده.

وخلاصة الجواب عليها: أن الْمُشركين الأولين يعتقدون أيضاً أن الله تعالى هو الخالق والرازق وحده، ومع ذلك هم مشركون.

فعُلِم بذلك أن مجرد الاعتقاد بأن الله تعالى هو الخالق والرازق وحده ليس بحجة على السلامة من الشرك.

[الشبهة الثانية والجواب عليها]

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين من الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها، وأنهم ما أرادوا منها إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعله وفعلهم بما ذكر، فاذكر له: أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[الإسراء:٥٧]، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[المائدة:٧٥-٧٦]، ....

واذكر له قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤٠-٤١]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[المائدة:١١٦]، فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.(١)

---

(١) هذه الشبهة الثانية.

وخلاصتها : أنهم يقولون: إن الأولين كانوا مشركين لأنهم يعبدون الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

. . . .

وخلاصة الجواب عليها: أن أولئك المشركين ليسوا كلهم يعبدون الأصنام، بل منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الملائكة ومنهم من يدعو الأنبياء ومنهم من يدعو الصالحين.

فعُلِم بذلك أن شرك الأولين ليس خاصاً بعبادة الأصنام بل هو عبادة غير الله أياً كان الذي يُعبد.

[الشبهة الثالثة والجواب عليها]

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شئ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم، فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر:٣] وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس ١٨].(١)

---

(١) هذه الشبهة الثالثة.

وخلاصتها : أنهم يقولون: إن الأولين كانوا مشركين لأنَّهم يريدون النفع من غير الله، وأما نحن فنريد النفع من الله وإنما ندعو الصالحين ليشفعوا لنا عنده.

وخلاصة الجواب عليها: أن المشركين الأولين كذلك يريدون النفع من الله، وإنما دعوا الصالحين ليشفعوا لهم عنده.

فعُلِم بذلك أنه لا فرق بين فعلهم وفعل المشركين الأولين.

[منــــزلة هذه الشبه الثلاث]

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه، وفهمتها فهما جيداً، فما بعدها أيسر منها.(٢)

---

(٢) لما ذكر المؤلف الشبه الثلاث وبيَّن كيفية كشــــفها ناســــب أن يذكر منــــزلة هذه الشبه بالنسبة للشبه الباقية.

[الشبهة الرابعة والجواب عليها]

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة، فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك، فإذا قال نعم، فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك، وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[الأعراف ٥٥]، فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة ، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا علمت بقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر ٢] وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة ؟ ....

فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: إذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر ويقول: نعم، وقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالِحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم يقرون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجؤا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جداً.(١)

---

(١) هذه الشبهة الرابعة.

وخلاصتها: أنه يقول: أنا لا أعبد غير الله تعالى، ودعائي الصالِحين ليس بعبادة.

وسبب هذه الشبهة: جهلهم بمعنى العبادة.

والجواب عليها من وجهين :

....

خلاصة الوجه الأول: أن يُسأل ما هو معنى العبادة؟ فإن لم يعرفها، يُبيَّن له بالمثال، فيقال له: إذا دعوت الله، فهل تكون بذلك عبدته؟ فسيقول: نعم لأن الدعاء عبادة، فيقال له: كذلك إذا دعوت غير الله تكون بذلك عبدت غيره لأن الدعاء عبادةَ، وهكذا يقال في الطواف والذبح وغير ذلك من الأنواع.

خلاصة الوجه الثاني: أن يُسأل هل كان المشركون الأولون يعبدون غير الله تعالى؟ فسيقول: نعم، فيقال له: أولئك المشركون كانوا يقرون بالخلق والرزق لله وحده، فهل كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح وغير ذلك من الأنواع؟ فهم عبدوا غير الله لأنهم صرفوا هذه الأفعال لغيره.

فعُلِم بذلك أن دعاء الصالحين عبادة، ولو كان لأجل طلب الشفاعة.

[الشبهة الخامسة والجواب عليها]

فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟ فقل لـــه: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفع وأرجو شـفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله، كما قـــال تعـــالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾[الزمر:٤٤] ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال عـــز وجـــل: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[البقـــرة:٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال عز وجـــل: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨] وهو لا يرضـــى إلا التوحيد ، كما قال عز وجل: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾[آل عمران:٨٥] فإذا كانت الشفاعة كلـــها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشـــفاعة كلها لله فأَطلُبُها منه، فأقولُ: اللهم لا تحرمني شفاعته، ....

اللهم شفعه فيَّ وأمثال هذا.(١)

---

(١) هذه الشبهة الخامسة.

وخلاصتها: اتهام دعاة التوحيد بأنهم ينكرون الشفاعة، ومن ذلك شفاعة رسول الله ﷺ.

وسبب هذه الشبهة: جهلهم بحقيقة دعوة أهل التوحيد.

والجواب عليها: أن دعاة التوحيد لا ينكرون الشفاعة ولكن يقولون الشفاعة كلها لله يعني جميع أنواع الشفاعة ملكها لله تعالى، والمراد أن التصرف فيها راجع إلى الله تعالى، والله سبحانه شرع الشفاعة وجعل لها شرطين لا تتحقق إلا بهما: أحدهما: الإذن، والثاني: الرضى.

فإذا كان الأمر كذلك فالذي يريد أن يُشفع له لا بد له من أمرين:

الأول : لا يَطلب الشفاعة إلا من الله تعالى لأنها لا تحصل إلا بإذنه.

الثاني : أن لا يَتقرب بالعبادات إلا لله وحده لأن الشفاعة لا تَحصل إلا لمن رضي الله عنه، والله لا يرضى بأن يُتقرب بالعبادات لغيره.

فعُلِم بذلك أن دعاة التوحيد لا ينكرون الشفاعة، بل ينكرون الوسيلة غير الشرعية في تحصيلها بأن تُطلب من غير الله، وأن يُتقرب بالعبادات لمن تُطلب منه.

[شبهة تتعلق بالتي قبلها والجواب عليها]

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله، فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[الجن ١٨] فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾، وأيضاً: فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون والأفراط يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا، بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.(١)

---

(١) هذه شبهة تتعلق بالتي قبلها.

وخلاصتها: أنه يقول: سأطلب الشفاعة من النبي ﷺ، لأن الله أعطاه إياها.

....

وسبب هذه الشبهة: هو ظنهم أن إعطاء الله تعالى الشفاعة لأحـــد دليل على جواز طلبها منه.

والجواب عليها من وجهين:

خلاصة الوجه الأول: أن يقال إن الله عزوجل أعطـى النـبي ﷺ الشفاعة ولكن نهى أن تطلبها منه ، فكما أطعته في عطائه فأطعه في نهيه .

وخلاصة الوجه الثاني: كما أن الله عز وجل أعطـى النـبي ﷺ الشفاعة كذلك أعطاها غيره كالأولياء، فإن قلت: أطلبها أيضاً منـهم، وقعت في نفس ما وقع فيه المشركون الأولون من دعاء الصالِحين لطلب الشفاعة منهم، وإن قلت: لا أطلبها منهم، كذلك يقال: لا تطلبها مـن النبي ﷺ.

فعُلِم بهذا أن إعطاء الشفاعة لأحد ليس دليلاً على جواز طلبها منه، بل تلك مسألة وهذه مسألة أخرى.

[الشبهة السادسة والجواب عليها]

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؟ فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر: أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لايغفره؟ فإنه لا يدري، فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يُحرِّم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يُحرمه ولا يبينه لنا؟ فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونَحْنُ لا نعبد الأصنام، فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، وإن قال: هو مَن قصد خشبةً أو حجراً أو أبنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته، فقل له: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار ....

والأبنية التي على القبور وغيرها، فهذا أقر: أن فعلهم هـذا هـو عبادة الأصنام، فهو المطلوب، ويقال له أيضاً: قولك: الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالِحين ودعاءهم لايدخل في ذلك؟ فهذا يرد ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.(١)

---

(١) هذه الشبهة السادسة.

وخلاصتها: أنه يقول: أنا لا أشرك بالله، ودعائي الصالحين ليس بشرك.

وسبب هذه الشبهة: جهلهم بمعنى الشرك.

والجواب عليها: أن يُسأل ما هو معنى الشرك؟

فإن لم يُجِب، يُقال له: كيف تنفي عن نفسك شيئاً وأنت لا تعرفه؟ كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره، وأنت لا تعرفه ولا تسأل عنه؟!

....

وإن أجاب، فقال: هو عبادة الأصنام، فيُرد عليه من وجهين:

خلاصة الوجه الأول: أن يقال له: إنْ كنت تظن أن عبادة الأصنام هو باعتقاد أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر فهذا باطل، لأن الله تعالى أخبر عن الْمُشركين الذين يعبدون الأصنام أنَّهم يعتقدون ذلك لله وحده، وإن كنت تظن أن عبادتهم لها هو بصرف الدعاء والذبح وغير ذلك لها، فهذا هو فعلكم عند قبور الأولياء.

وخلاصة الوجه الثاني: أن يقال له: هل قولك، الشرك عبادة الأصنام تقصد أنه مخصوص بهذا وأن عبادة غير الأصنام ليست بشرك؟ فهذا باطل، لأن الله تعالى أخبر عن المشركين أن منهم من يدعو الملائكة أيضاً ومنهم من يدعو الأنبياء ومنهم من يدعو الصالحين.

فعُلِم بذلك أن دعاء الصالحين شرك.

[سر المسألة]

وسر المسألة: أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؟ فسره لي، فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي، فإن قال: أنا لاأعبد إلا الله وحده، فقل له: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي ، فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك بغير معناه، بينتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص ٥].(١)

---

(١) لما كشف المؤلف الشبهات الثلاث الأخيرة ناسب أن يبين سر المسألة في كيفية كشف مثل هذه الشبهات.

....

وخلاصة السر في هذه المسألة: أن يُسأل عن معنى التوحيد ومعنى الشرك ومعاني ما يتعلق بهما من المسائل.

وهو إما أن لا يجيب، فكيف يدعي شيئاً وهو لايعرفه؟

وإما أن يُجيب، وإجابته إما أن تكون خطأ فيصوب له بالأدلة، وإما أن تكون صواباً فتثبت عليه الحجة.

[الفرق بين شرك الأولين وشرك أهل هذا الزمن]

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه الْمُشركون في زماننا الاعتقاد هو الشـــرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ النـــاس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين: أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأوليـــاء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشـــدة فيخلصـــون لله الدعاء ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٦٧] وقولـــه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[الأنعـام:٤٠-٤١] وقولـــه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ

مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ إلى قولـــــه:
﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[الزمــــــر:٨]
وقولـــــه: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[لقمان ٣٢] فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لاشريك له وينسون سادتهم ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هـــذه المســألة فــهماً راسخاً، والله المستعان. الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مــع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله وليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعوهم هم الذين يحكــون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والــذي يعتقد في الصالح أو الذي لايعصي مثل الخشــب والحجر.......

أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.(١)

---

(١) ذكر المؤلف أولاً الشبه الثلاث التي هي أكبر ما عند الذين يفعلون الشرك في زمنه وأجاب عليها، ثم ذكر ثلاث شبه أخرى وأجاب عليها ، واتضح بالجواب على هذه الشبهات الست أن فعل هؤلاء الذين يدَّعون التوحيد وينفون الشرك عن أنفسهم موافق تماماً لفعل المشركين الأولين، فكما أن أولئك مشركون لكونهم يدْعون غير الله تعالى طلباً للشفاعة فكذلك هؤلاء يدعون غير الله تعالى طلباً للشفاعة.

ثم ذكر زيادة على ذلك أن هناك فرقاً بين شرك الأولين وشرك أهل هذا الزمن، وهو أن شرك الأولين أخف من شرك أهل هذا الزمن، وذلك بأمرين:

خلاصة الأمر الأول: أن المشركين الأولين يدعون الصالحين في الرخاء دون الشدة، وأما الذين يفعلون الشرك في هذا الزمن فيدعون الصالحين في الرخاء والشدة.

وخلاصة الأمر الثاني: أن المشركين الأولين يدعون المقربين عند الله خاصة، وأما الذين يفعلون الشرك في هذا الزمن فيدعون المقربين وأصحاب الفسق والفجور أيضاً.

[الشبهة السابعة والجواب عليها]

فإذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شئ، وكذبه في شئ، أنه كافر لم يدخل في الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، ....

أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل في حقهم: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران ٩٧]، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[النساء ١٥٠-١٥١]، فإذا كان الله قد صرح في كتابه: أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا، ويقال أيضاً: إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شئ ....

وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شئ إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله، لاتختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن، كما قدمنا، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ماأعجب هذا الجهل!.(١)

---

(١) هذه الشبهة السابعة.

فلما كشف المؤلف عن الشبهات الست المتقدم ذكرها، واتضح بذلك أن فعل هؤلاء موافق تماماً لفعل المشركين الأولين.

ثم زاد على ذلك أن شرك الأولين أخف من شرك هؤلاء.

ناسب أن يذكر الشبهة العظيمة التي يتشبثون بها بعد ذلك لنفي الشرك والكفر عن أنفسهم.

....

وخلاصتها: أنهم يقولون: نحن نقر بالشهادتين ونؤمن بالقرآن وبالبعث ونؤدي الفرائض، والمشركون الأولون لا يفعلون ذلك فكيف تحكمون علينا بمثل ما تحكمون عليهم؟

وسبب هذه الشبهة: هو ظنهم أن الذي يدعي الإسلام لا يحكم عليه بالكفر ولو فعل ما فعل من المخالفات، لا سيما إذا صلى وأظهر بعض الشعائر.

وخلاصة الجواب عليها: أنه لا خلاف بين العلماء أن من ادعى الإسلام ولو أظهر بعض الشعائر قد يصدر منه شئ يوجب كفره وخروجه عن الإسلام، كأن يجحد شيئاً ثابتاً من الدين.

وإذا كان من جحد شيئاً ثابتاً من الدين يكفر، فكيف بمن جحد التوحيد الذي هو أساس الدين حيث أشرك في العبادة فصرفها لغير الله معه؟!

[أمثلة تؤيد الجواب على الشبهة السابقة]

[المثال الأول]

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويؤذنون ويصلون، فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في رتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم ٥٩].(١)

---

(١) لَمَّا أجاب المؤلف على الشبهة السابقة ذكر بعد ذلك أمثلة تؤيد هذا الجواب.

ويستفاد من هذه الأمثلة فائدتان:

....

الأولى: فائدة تؤخذ من جميع هذه الأمثلة، وهي أن الذي يدعي الإسلام قد يصدر منه ما يوجب كفره.

الثانية: فائدة تؤخذ من كل مثال بعينه يأتي بيانها – إن شاء الله تعالى – بعد ذكر خلاصة كل مثال.

وهذا المثال الأول، **وخلاصته:** أن الصحابة رضي الله عنهم كفّروا وقاتلوا بني حنيفة مع أنهم أسلموا مع النبي ﷺ.

ويستفاد من هذا المثال: أنه إذا كان بنو حنيفة كفروا لأنهم جعلوا مسيلمة نبياً يتبع، فكيف بالذي يجعل مخلوقاً إلهاً يعبد؟!.

[المثال الثاني]

ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين، أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفر؟!.(١)

---

(١) هذا المثال الثاني ، **وخلاصته:** أن علياً رضي الله عنه كفر وحرق أناساً من أصحابه مع أنهم ادعوا الإسلام وتعلموا من الصحابة، وأجمع الصحابة على كفرهم وقتلهم.

ويستفاد من هذا المثال: أنه إذا كان هؤلاء كفروا لأنَّهم اعتقدوا أن علياً إله، فكذلك الذي يعتقد في غيره أنه إله.

[المثال الثالث]

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.(١)

---

(١) هذا المثال الثالث، **وخلاصته:** أن العلماء في زمن بني العباس أجمعوا على تكفير وقتال بني عبيد مع أنهم يدعون الإسلام ويظهرون شعائره.

ويستفاد من هذا المثال: أنه إذا كان هؤلاء كفروا لأشياء خالفوا بها الشريعة وهي دون الشرك، وذلك مثل استحلال بعض المحرمات كتجويزهم الجمع بين الأختين، فكيف بمن خالف الشريعة بالشرك؟!.

[المثال الرابع]

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: باب حكم المرتد، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منهما يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أوكلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.(١)

---

(١) هذا المثال الرابع، **وخلاصته:** أن العلماء في كل مذهب يذكرون في كتبهم باب حكم المرتد، والمرتد: هو الذي يكفر بعد اسلامه.

ويستفاد من هذا المثال: أنه إذا كان العلماء ذكروا للردة أسباباً منها ما هو دون الشرك، فكيف بمن يشرك؟!.

[المثال الخامس]

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾[التوبة ٧٤] أما سمعت الله كفرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[التوبة ٦٦] فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.(١)

(١) هذا المثال الخامس، **وخلاصته:** أن الله تعالى كفر أناساً أسلموا في زمن النبي ﷺ وأظهروا الشعائر.

ويستفاد من هذا المثال : أنه إذا كان هؤلاء كفروا لأنّهم قالوا كلمة كفر على وجه المزح، فكيف بمن يقول ويفعل على وجه الجد؟!.

[التأمل في هذه الشبهة وفي جوابها]

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.(١)

---

(١) لما ذكر المؤلف خمسة أمثلة تؤيد الجواب على هذه الشبهة طلب التأمل إشارة إلى أن هذه الشبهة وإن كانت عظيمة إلا أن جوابها سهل، والأمثلة المؤيدة لهذا الجواب كثيرة، أعني الجواب بأن الذي يدعي الإسلام قد يصدر منه ما يوجب كفره.

[المثال السادس]

ومن الدليل على ذلك أيضاً: ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[الأعراف ١٣٨] وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا ﴾.(١)

---

(١) هذا المثال السادس ، **وخلاصته**: أن قوم موسى طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً، وأن أناساً من أصحاب النبي ﷺ طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط، فجعل النبي ﷺ طلبهم مثل طلب قوم موسى.

والمقصود من هذا المثال: أن المسلم قد يطلب ماهو كفر.

[شبهة في هذا المثال والجواب عليها]

ولكن للمشركين شبهة أخرى يدلون بها عند هذه القصـــة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلـــك، وكذلـــك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا ، فالجواب: أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين ســـألوا النبي لم يفعلوا ذلك، ولاخلاف أن بني إسرائيل لو فعلـــوا ذلـــك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لـــو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلـــوب، ولكن هذه القصة تفيد : أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لايدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل "التوحيد فهمناه" أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان، وتفيد أيضاً: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لايدري فنبـــه على ذلك فتاب من ساعته أنه لايكفر، كما فعل بنو إســـرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ، وتفيد أيضاً: أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ ..

عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ.(١)

---

(١) لما ذكر المؤلف المثال السادس ناسب أن يذكر أن للذين يفعلون الشرك في زمنه شبهة في هذا المثال، **وخلاصتها**: أن بني إسرائيل وأصحاب النبي ﷺ لم يكفروا حين طلبوا ما طلبوا.

والجواب عليها: أهم لم يفعلوا ما طلبوه بل لما نهاهم النبي ﷺ انقادوا للنهي، وهذا يدل على أن طلبهم ذلك ناتج عن جهل منهم بالحكم.

ثم ذكر المؤلف ثلاث فوائد في هذه القصة:

الفائدة الأولى: أهمية التعلم والتحرز وأن قول الجاهل التوحيد فهمناه خطأ عظيم، أما أهمية التعلم فحتى لا يقع في الشرك بسبب جهله، وأما أهمية التحرز فلأن الذين هم أفضل منه كادوا أن يقعوا في الشرك.

وأما قول الجاهل: "التوحيد فهمناه" خطأ عظيم، فلأن الذين هم أفضل منه علما و صلاحاً كادوا لجهلهم أن يخالفوه ويقعوا في الشرك.

الفائدة الثانية: أن من تكلم بكلام الكفر وهو لايدري أنه كفر، فنبه على ذلك وتاب أنه لا يكفر.

الفائدة الثالثة: أن من تكلم بالكفر ولو كان جاهلاً يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً.

[أمثلة يستدل بها الذين يفعلون الشرك لشبهتهم]

[المثال الأول والثاني]

ولهم شبهة أخرى، يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال: "اقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله" [١]، وكذلك قوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله" [٢]، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يَكفر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، ....

---

[١] البخاري: ٤٢٦٩، ومسلم: ٩٦.

[٢] البخاري: ١٣٩٩، ومسلم: ٢٠.

وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولـــو قالهـــا، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع وتنفعـــه إذا جحـــد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكـــن أعـــداء الله مافهموا معنى الأحاديث، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منـــه مـــا يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾[النساء ٩٤] أي فتثبتوا، فالآية تـــدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلـــك مـــا يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى: "فتبينوا" ولو كان لايقتـــل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنـــه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا: أن رســـول الله ﷺ قال: "أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله"؟ وقال: "أمرت أن أقـــاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" هو الذي قال في الخوارج: "أينما

لقيتموهم فاقتلوهم"[١]، "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[الحجرات ٦] وكان الرجل كاذباً عليهم، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ماذكرناه.(١)

---

(١) كما أن الْمُؤلف ذكر أمثلة تدل على أن الذي يدعي الإسلام قد يكفر ويقتل، فكذلك الذين يفعلون الشرك في زمنه يذكرون أمثلة يستدلون بها على أن الذي يدعي الإسلام لا يكفر ولا يقتل.

---

[١] البخاري: ٦٩٣٠، ومسلم: ١٠٦٦.

. . . .

أما المثال الأول فقد تقدم.

وهو قصة قوم موسى حين طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً، وقصة أصحاب النبي ﷺ حينما طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط.

وتقدم جواب المؤلف على ما في هذا المثال من الشبهة: وهو أنهم لم يفعلوا ما طلبوه بل لما نهاهم النبي ﷺ انقادوا للنهي، وهذا يدل على أن طلبهم ذلك ناتج عن جهل منهم بالحكم.

وأما المثال الثاني فهو الذي ذكره هنا.

وخلاصة الشبهة في هذا المثال: أنه ورد عن النبي ﷺ أحاديث تدل على الكف عن قتل من قال لا إله إلا الله.

ومرادهم: أن من ادعى الإسلام وقال هذه الكلمة فلا يكفر ولا يقتل.

ومن الجواب على هذه الشبهة : أن هؤلاء أنفسهم يعلمون أن من جحد شيئاً من فروع الدين يكفر ولو قال لا إله إلا الله، فكيف بمن جحد التوحيد الذي هو أصل الدين ألا يكفر؟!.

....

وسبب استدلالهم بِهذه الأحاديث هو عدم فهمهم لمعناها الصحيح، ثم ذكر المؤلف المعنى الصحيح، **وخلاصته:** أن قول النبي ﷺ يدل على أن من ادعى الإسلام وقال لاإله إلا الله محمد رسول الله وجب الكف عنه، ولكن فِعله وفِعل أصحابه رضي الله عنهم في تكفير وقتال أناس ادعوا الإسلام يدل على أنه إنما يجب الكف إذا لم يصدر من المدعي شئ يوجب ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ المعنى إذا غزوتُم أناساً في سبيل الله فادعوا الإسلام فكفوا عنهم وتثبتوا من صدق ادعائهم، ففي وجوب هذا التثبت دلالة على أن الذي يدعي الإسلام قد يصدر منه ما يناقض دعواه ويوجب تكفيره وقتاله، وإلا لا فائدة من وجوب التثبت.

الخلاصة : أن هذه الأحاديث تدل على أن من ادعى الإسلام وجب الكف عنه ابتداء لامطلقا.

[المثال الثالث]

ولهم شبهة أخرى، وهي: ماذكر النبي ﷺ: أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ، قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً؟ والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لاننكرها، كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[القصص ١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدرعليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثه العبادة التي يفعلونَها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي

يجالسك ويسمع كلامك فتقول لـــه: ادع الله لي، كمـــا كـــان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موتـــه فحاشا وكلا أنَّهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف الصالِح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه؟!.(١)

---

(١) هذا المثال الثالث.

وخلاصة الشبهة في هذا المثال: أنه ورد عن النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بالأنبياء ، ومرادهم: أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً فلا يجوز الحكم على من فعل ذلك بأنه مشرك كافر.

والجواب على هذه الشبهة : أن الاستغاثة بالمخلوق نوعان: شرعية وشركية، أما الشرعية فهي الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، وأما الشركية فهي الاستغاثة بالميت أو الغائب أو في شئ لا يقدر عليه إلا الله تعالى، والاستغاثة التي ينكرها دعاة التوحيد هي الاستغاثة الشـــركية لا الاستغاثة الشرعية، إذا ثبت هذا فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة ليســـت استغاثة شركية بل هي استغاثة شرعية ، لأنَّها استغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، فهو يقدر على الدعاء.

[المثال الرابع]

ولهم شبه أخرى، وهي: قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم؟ فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه: ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم ٥]، فلو أذن الله أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض و الجبال، ويلقيها في المشرق أوالمغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً، فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لامنة فيه لأحد، ....

فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟!.(١)

---

(١) هذا المثال الرابع، والشبهة فيه من جنس الشبهة في المثال الـــذي قبله.

وخلاصة الشبهة في هذا المثال: أن جبريل عليه السلام عرض علـــى إبراهيم حين ألقي في النار أن ينفعه.

ومرادهم: أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً، لأنها لو كانت شركاً لما عرضها جبريل على إبراهيم.

والجواب على هذه الشبهة : أن جبريل عرض على إبراهيم أن ينفعه بشئ يقدر عليه، فلو استغاث به في هذه الحال لكانت هذه الاســـتغاثة شرعية، لأنها استغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه.

[الخاتمة]

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها.(١)

---

(١) جملة ما تقدم في القسم الثاني من هذا الكتاب ثلاثة أمور:

الأول: الجواب على الشبهات الست، الذي به اتضح أن فعل هؤلاء موافق تماماً لفعل المشركين الأولين، **الثاني**: الزيادة على ذلك، أن شرك الأولين أخف من شرك هؤلاء، **الثالث**: الجواب على الشبهة العظيمة التي يتشبثون بها بعد ذلك لنفي الشرك والكفر عن أنفسهم.

ثم ستكون نتيجة هذا الجواب مع الذي يفعل الشرك أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: أن يترك الشرك، وهذا هو المطلوب.

الاحتمال الثاني: أن يستمر على فعل الشرك، وهو يعرف أن فعله شرك.

ولوجود هذا الاحتمال الثاني، ناسب أن يَختم المؤلف الكلام بمسألة عظيمة، والتي هي: مَن الذي يُعذر بفعل الشرك، وهو يعرف أن فعله شرك؟.

[تمهيد للخاتمة]

فنقول لاخلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد و لم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ولكنا لا نقدر أن نفعله ولايجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غير ذلك من الأعذار، و لم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحَق، و لم يتركوه إلا لشئ من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[التوبة:٩] وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[البقرة:١٤٦]، فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[النساء:١٤٥] وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس،

ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه.(١)

---

(١) قبل أن يَختم المؤلف الكلام بالمسألة العظيمة، ابتدأ بتمهيد قصد به إظهار أهمية هذه المسألة، وذكر في هذا التمهيد أربعة أمور:

الأول: أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، أما بالقلب فباعتقاد أن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده، وأما باللسان فبالشهادة بذلك، وأما بالعمل فبصرف العبادة له وحده.

الثاني: أن من أخل بشئ من هذه الثلاثة فليس بمسلم ، أما الإخلال بالقلب فباعتقاد أن غير الله مستحق للعبادة، وأما الإخلال باللسان فبالتلفظ بما يدل على ذلك، وأما الإخلال بالعمل فبصرف العبادة لغير الله تعالى.

الثالث: أن من عرف التوحيد وأخل بالعمل به أي صدر منه ما يناقض التوحيد فهو كافر حاله كحال فرعون وإبليس وأمثالهما من الذين يعرفون التوحيد و لم يعملوا به.

الرابع: أن كثيراً من الناس في هذا الزمن على صنفين:

....

صنف يعرفون التوحيد ولا يعملون به لعذر من الأعـــذار كـــإرادة الدنيا ، وهم بذلك يُماثلون أئمة الكفر الذين يعرفون الحق و لم يعملوا به لمثل هذه الأعذار.

وصنف يعملون بالتوحيد ولكن لا يفهمونه أو لا يعتقدونه، وهـــم بذلك يماثلون المنافقين الذين يعملون بالتوحيد ظاهراً لا باطناً.

[مَن الذي يُعذر بفعل الشرك وهو يعرف أن فعله شرك؟]

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله، أولاهما: قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[التوبة:٦٦]، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها، والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾الآية [النحل:١٠٦-١٠٧]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً أو طمعاً أو مداراةً ....

أو مشحة بوطنه أوأهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره ، فالآية تدل على هذا من جهتين: الأولى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لايكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد، والثانية قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على مُحمد وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.(١)

---

(١) لما انتهى المؤلف من التمهيد ذكر بعد ذلك المسألة العظيمة، وهي أن الذي يُعذر بفعل الشرك وهو يَعرف أن فعله شرك ، يُعرف مَن هو؟ بفهم آيتين:

....

الآية الأولى: قوله: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾.

ومراد المؤلف: أن هذه الآية تدل على أن الذي يدعي الإسلام وأظهر كفراً ولو بكلمة فإنه كافر.

الآية الثانية: قوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾.

مراد المؤلف: أن هذه الآية تدل على أن من أظهر كفراً بسبب الإكراه وقلبه مطمئن بالإيمان فلا يكفر.

والإكراه: هو أن يُقتل أو يعذب عذاباً لا يتحمله أو يتعرض لفتنة تفسد عليه دينه ونحو ذلك.

النتيجة: أن الذي يدعي الإسلام إذا أظهر كفراً وهو يعرف أن ما أظهره كفر فإنه في الدنيا يحكم عليه بأنه كافر وفي الآخرة يبعث ويدخل النار مخلداً فيها – والعياذ بالله –، إلا المكره فقط.

والله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المحتويات